Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (36), (Sept 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد(9) ملحق العدد (36) (سبتمبر 2025)
ردمد: 3014-6266

السلطة وأساليب الحكم في العصر الأموي:
دراسة تحليلية مقارنة في تجربة معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان

فريال امحمد محمد أبو زبيدة

جـامـعة طـرابلـس- كـلية الآداب

قسم التاريخ والآثار – شعبة الوسيط

تاريخ الاستلام:2025/8/23 –تاريخ المراجعة: 2025/9/24– تاريخ القبول: 2025/10/4– تاريخ للنشر: 2025 /10/10

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم السلطة وأساليب الحكم في العصر الأموي من خلال تجربتين بارزتين: تجربة معاوية بن أبي سفيان الذي أسس لنموذج جديد يمزج بين الخلافة والملك، وتجربة عبد الملك بن مروان الذي رسّخ هذا النموذج عبر إعادة مركزية السلطة وتكريسها في يد الخليفة. وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على التحول التاريخي الذي شهدته الدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري، حيث انتقلت من نموذج الخلافة الراشدة القائم على الشرعية الدينية والشورى، إلى نموذج الملك الأموي القائم على العصبية القبلية والمركزية السلطوية. وتعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا مقارنًا، يقف عند مظاهر السلطة وأساليب الحكم في عهد كل من معاوية وعبد الملك، ويبرز أوجه التشابه والاختلاف بينهما، بما يتيح فهمًا أعمق لطبيعة السلطة في تلك المرحلة المفصلية من التاريخ الإسلامي.

Summary:

Feryal Amohamed Mohamed Abu Zubaydah
University of Tripoli – Faculty of Arts
Department of History and Archaeology – Medieval Studies Division

This study aims to analyze the concept of authority and methods of governance in the Umayyad era through two prominent experiences: the experience of Muʿāwiya ibn Abī Sufyān, who established a new model that combined the caliphate with kingship, and the experience of ʿAbd al-Malik ibn Marwān, who consolidated this model by re-centralizing authority and concentrating it in the hands of the caliph. The importance of this study lies in its focus on the historical transformation witnessed by the Islamic state in the first century AH, as it shifted from the model of the Rashidun Caliphate—based on religious legitimacy and consultation—to the Umayyad model of kingship, founded on tribal solidarity and centralized power. The study adopts an analytical comparative approach, examining the manifestations of authority and methods of governance during the reigns of both Muʿāwiya and ʿAbd al-Malik, highlighting the similarities and differences between them, thereby offering a deeper understanding of the nature of authority in this pivotal stage of Islamic history.

المقدمة:

عدّ مفهوم السلطة[1] وأساليب ممارستها من أبرز القضايا السياسية التي شغلت اهتمام النخب الفكرية والدينية والسياسية، فضلاً عن حضورها في وعي عامة الناس عبر مختلف العصور. وتأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على هذه الإشكالية في إطار زمني محدّد،

[1] يرد مفهوم السلطة في معاجم اللغة بمعنى القهر والقدرة؛ إذ يُقال: "سَلَّطَه الله عليه" أي جعل له عليه قوة وقهرًا. يُعرّف مفهوم الخلافة باعتبارها منصبًا يقوم على النيابة عن الشارع في حفظ الدين وسياسة الدنيا، حيث يُسمّى القائم بهذا المنصب "خليفة" لكونه يخلف رسول الله ﷺ في أمته. أمّا مفهوم المُلك، فيراه ابن الأزرق قائمًا على سطوة السلطان وقهره، من خلال استبعاد الرعية، وجباية الأموال، وبعث الجيوش، وحماية الثغور. ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك،

يتمثل في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41–60هـ/661–680م) والخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ/685–705م)، وذلك في محاولة للإجابة عن جملة من التساؤلات المركزية، أبرزها: ما هي رؤية كلٍّ من الخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة عبد الملك بن مروان للسلطة؟ وما الأساليب التي انتهجاها في إدارة الدولة وفق تلك الرؤية؟ وما النتائج التي ترتبت على ذلك؟

تقوم هذه الدراسة على مبحثين رئيسين:

- المبحث الأول: يتناول شخصية الخليفة معاوية بن أبي سفيان، من خلال تحليل مفهوم السلطة لديه، واستعراض مظاهرها في خلافته، وبيان أساليبه في ممارسة الحكم، إضافة إلى دراسة علاقته بخصومه السياسيين من قريش والأنصار وأشراف القبائل العربية.

- المبحث الثاني: يركز على شخصية الخليفة عبد الملك بن مروان، حيث يُعالج مفهوم السلطة في خلافته، ويستعرض مظاهرها، ويحلل أساليبه في إدارة الحكم، بما في ذلك أدواته في ترسيخ مركزية السلطة ومواجهة التحديات السياسية الداخلية والخارجية.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي للنصوص الواردة في المصادر الأصيلة، وفي مقدمتها كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، يليه من حيث الأهمية كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، ثم كتب التاريخ العام مثل تاريخ الأمم والملوك للطبري ومروج الذهب للمسعودي، فضلاً عن المصادر الأدبية ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، والمصادر في السياسة الشرعية مثل بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق، وكذلك كتب الأخلاق والرقاق ككتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي.

تتمحور إشكالية هذا البحث حول طبيعة مفهوم السلطة وأساليب ممارستها في العصر الأموي، وذلك من خلال دراسة نموذجين بارزين هما الخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة عبد الملك بن مروان. إذ يطرح البحث تساؤلات أساسية تتعلق بكيفية إدراك كل منهما للسلطة، والآليات التي اعتمداها في إدارة الدولة، ومدى انعكاس هذه الرؤية على سياسات ولاتهما في العراق، زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف، باعتبار العراق مركزًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا بالغ الأهمية في تلك الحقبة. ومن ثم، فإن الإشكالية الرئيسة تكمن في محاولة الكشف عن الفروق الجوهرية بين أسلوب "المهادنة" لدى معاوية وأسلوب "الحزم" لدى عبد الملك، وما ترتب على ذلك من نتائج سياسية واجتماعية.

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها: توضيح مفهوم السلطة كما تجلّى في فكر وممارسة كل من معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان. تحليل مظاهر السلطة في خلافة كل منهما، وربطها بالظروف السياسية والاجتماعية المحيطة. رصد أساليب إدارة الحكم التي اعتمدها كل خليفة، وموقفهما من الخصوم السياسيين والقبائل العربية. تقييم النتائج المترتبة على هذه السياسات في استقرار الدولة الأموية أو إثارة المعارضة الداخلية. المساهمة في فهم تطور مفهوم السلطة في التاريخ الإسلامي المبكر، من خلال المقارنة بين نموذجين مختلفين في الممارسة السياسية.

أهمية هذا البحث من عدة جوانب علمية وتاريخية، يمكن إبرازها على النحو الآتي: إثراء الدراسات التاريخية والسياسية: إذ يسهم البحث في تعميق فهمنا لمفهوم السلطة في العصر الأموي، من خلال تحليل رؤى وممارسات شخصيتين محوريتين هما معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان. إبراز الفروق في أساليب الحكم: يوضح البحث التباين بين سياسة "المهادنة" لدى معاوية وسياسة "الحزم" لدى عبد الملك، وما نتج عن ذلك من آثار سياسية واجتماعية. تقديم قراءة مقارنة: يتيح البحث مقارنة بين أسلوبين مختلفين في ممارسة السلطة، بما يعزز الدراسات المقارنة في الفكر السياسي الإسلامي المبكر. اعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال جمع النصوص والروايات المتعلقة بمفهوم السلطة وأساليب ممارستها في العصر الأموي، ثم تحليلها وربطها بالسياق التاريخي والسياسي والاجتماعي الذي نشأت فيه.

تحقيق: على سلمي النشار، وزارة الإعلام، العراق، (د.ت)، ص71. ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: على سلمي النشار، وزارة الإعلام، العراق، (د.ت)، ص71. الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد– مجلس الوطني، الكويت، (د.ت)، ج3، ص385.

المبحث الأول- مفهوم السلطة لدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأساليبها:

مرت مؤسسة الخلافة الإسلامية بأطوار متباينة منذ نشأتها عقب وفاة الرسول ﷺ، حيث مثّل الطور الراشدي النموذج الأصيل للخلافة القائمة على الشورى وحراسة الدين وسياسة الدنيا. غير أن الفتنة الكبرى (الحرب الأهلية الأولى) أفضت إلى تحولات جذرية في مفهوم السلطة، إذ انتقلت الخلافة إلى يد الأمويين، فامتزجت بمظاهر الملك الوراثي، ثم تطورت لاحقًا إلى ملك بحت. ويُعد معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان أبرز من جسّد هذا التحول، حيث مثّل الأول مرحلة المزج بين الخلافة والملك، بينما رسّخ الثاني الملك البحت القائم على المركزية والصرامة، مما أدى إلى تراجع المعاني الأصلية للخلافة.

- **الخليفة معاوية بين الخلافة والمُلك:**

تقوم السلطة في عهد الخلفاء الراشدين على مبادئ الشورى والعدل، وضوابط القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث كان المال العام يُنظر إليه باعتباره ملكًا للمسلمين وأمانة في عنق الخليفة[1]. غير أن معاوية بن أبي سفيان قدّم تصورًا مغايرًا، إذ اعتبر نفسه "خليفة الله"[2]، ورأى أن موارد الدولة هي "مال الله" [3]، ومن ثمّ منح نفسه حق التصرف المطلق فيها[4].

تّضح من تجربة معاوية بن أبي سفيان في الحكم أنّه تبنّى تصورًا مغايرًا لطبيعة السلطة مقارنةً بالخلفاء الراشدين. فقد نظر إلى منصبه باعتباره مصدرًا لسلطة مطلقة تتيح له إدارة الدولة ومواردها المالية وفق ما يراه مناسبًا، دون التقيّد بمبدأ الشورى الذي شكّل أحد أعمدة الحكم الراشدي، أو اعتبار المال العام ملكًا جماعيًا للأمة. ومع ذلك، حرص معاوية على المحافظة على بعض الرموز الشكلية التي تمنح حكمه شرعية دينية وسياسية، مثل الاستمرار في حمل لقب "أمير المؤمنين"[5]. هذا التحول يعكس انتقالًا من نموذج الخلافة الراشدة، الذي ارتكز على المشاركة والرقابة الجماعية، إلى نموذج أكثر مركزية يمهّد لظهور الملك الوراثي في الدولة الأموية. ومن ثمّ، فإن دراسة هذه المرحلة تكشف عن جدلية العلاقة بين الشكل والمضمون في الشرعية السياسية الإسلامية المبكرة: حيث ظلّت الرموز الدينية قائمة، بينما تغيّرت آليات الحكم وإدارة الموارد بما يخدم تثبيت السلطة الفردية.

لم يتخذ لقب ملك ولكنه حاول المزج بين الخلافة والمُلك، وقد وصف عبد الله بن العباس معاوية فقال: ما رأيت أحداً كان أحق بالملك من معاوية، لله دره إن كان لحليمًا وإن كان الناس لينزلون منه بأرجاء وادٍ خصبٍ. لم يتخذ معاوية لقب "ملك"، لكنه سعى إلى المزج بين الخلافة والملك، فحافظ على لقب "أمير المؤمنين" مع إضفاء مظاهر سلطوية جديدة. وقد وصفه عبد الله بن عباس بأنه أحق الناس بالملك لما اتسم به من حلم ودهاء سياسي[6].

- **المظاهر السلطوية:**

منذ توليه ولاية الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ظهرت لدى معاوية بن أبي سفيان ميول نحو تبني مظاهر السلطة ذات الطابع الملكي. وقد تنبّه عمر لهذه النزعة، إلا أن معاوية برّرها بضرورات الموقع الجغرافي وقربه من أرض العدو، حيث كان يرى أن إظهار الهيبة يعزز مكانة الدولة الإسلامية.

وعندما تولى الخلافة، أحاط نفسه بمظاهر سلطوية لم يألفها المسلمون من قبل؛ فشيّد قصر الخضراء بدمشق[7]، وكان أول من اتخذ الحرس الخاص، فأسند قيادته إلى الضحاك بن قيس، ثم ولاه الشرطة، وجعل يزيد بن الحر على رأس حرسه. كما

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج3، ص183.

[2] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، 1979، ج5، ص20.

[3] المسعودي، مروج الذهب، دار الأندلس، بيروت،1996، ج3، ص30-31.

[4] البخاري، كتاب الإيمان، (د. ن)، (د. م)، (د. ت)، باب من ستبرأ ذمته، الحديث 50.

[5] "دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك، فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق رحمك الله لو قلت أمير المؤمنين، فقال: أتقولها جذلان ضاحكاً؟! ما أحب أني وليتها بما وليتها به". ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص24.

[6] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص48.

[7] المصدر نفسه، ج5، ص147.

مارس سياسة الاحتجاب عن العامة[1]، وهو ما أثار انتقاد بعض الصحابة والتابعين، فنصحه أبو مريم الجهني* بترك الحجاب عن الناس قائلاً: "إياك أن يحجبك الله كما حجبتهم"، فاستجاب معاوية وجعل رجلاً يتولى قضاء حوائج المسلمين"[2].

وقد حرص معاوية على تنظيم ظهوره أمام الرعية وفق ترتيب دقيق؛ إذ كان يأذن خمس مرات في اليوم والليلة: في الضحى لمجلس خاصته، قبل الظهر في مقصورة المسجد للنظر في المظالم، ثم على السرير للنظر في أصحاب الحوائج، بعد العصر لمجلس الخاصة والحاشية، وأخيرًا في أول الليل[3].

هذا التنظيم منح حكمه طابعًا ملكيًا مميزًا، لكنه في الوقت نفسه اتسم بالحلم والمداراة والرفق بالرعية، مما ساعده على تثبيت سلطته وإضفاء هيبة على نظامه السياسي.

- **الأسلوب الإداري والسياسي:**

اعتمد الخليفة معاوية بن أبي سفيان أساليب خاصة في ممارسة السلطة، ظهرت في خطبه السياسية الموجّهة إلى الرعية، وفي محاوراته المستمرة مع أبناء الصحابة في الحجاز، ومع أشراف القبائل ومعارضيه في العراق. وقد سعى من خلالها إلى ترسيخ شرعيته في الحكم بعد أن أصبح خليفة إثر تنازل الحسن بن علي له في عام الجماعة سنة (40هـ/661م)، عقب حرب أهلية أنهكت المجتمع الإسلامي. وبذلك بدأ عهد جديد في تاريخ الإدارة السياسية العربية الإسلامية، حاول فيه معاوية فرض نفسه بالقوة، وفي الوقت ذاته كسب شرعية من جمهور الأمة[4].

كان على معاوية وهو يتولى زمام السلطة أن يتعامل بحذر ومهارة مع المشكلات التي خلّفتها الفتنة الكبرى، وأن يحول دون إثارة القبائل العربية والعودة إلى تحكيم السيف، فعمل على توطيد أركان حكمه بوسائل سلطوية ساعدته شخصيته السياسية كرجل دولة على إنجاحها. وقد اعتمد على النهج القبلي في إدارة الدولة، مستفيدًا من صفتي الحلم والأناة اللتين تحلّى بهما، ووظّفهما لتحقيق قدر من الاستقرار السياسي طوال فترة حكمه[5].

تمتع معاوية بخبرة سياسية واجتماعية واسعة، اكتسبها من بيئته القبلية بكونه ابن سيد من سادات قريش في الجاهلية، ومن عمله الطويل في ولاية الشام خلال عهدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، حيث تمرّس على قيادة القبائل والتعامل مع أشرافها[6]. وكان يحسن معاملة الأشراف في مجلسه، ويقدّمهم على غيرهم، ويقضي حوائجهم، متصرّفًا كشيخ قبيلة يستمع إلى مطالبهم ويساعدهم على الوفاء بالتزاماتهم الاجتماعية تجاه قبائلهم. وقد أدرك أهمية هذه الفئة، فحرص على ودّهم واصطناع المعروف فيهم لكسب ولاء قبائلهم، مستخدمًا المال والعطاء وسيلةً لذلك، إذ كان يرى أن حرمانهم يضعف مكانتهم أمام أتباعهم ويهدد استقرار حكمه[7].

وتتضح معرفته الدقيقة بنفسيات وطبائع الأشراف في توجيهاته لوالي العراق زياد بن أبيه، إذ قال له: "إن حولك مضر وربيعة واليمن، فأما مضر فولِّهم الأعمال واحمل بعضهم على رقاب بعض، وأما ربيعة فأكرم أشرافهم فإن أتباعهم منقادون لهم، وأما اليمن فأكرمهم في العلانية وتجافَ عنهم في السر"[8].

وقد أدرك معاوية أن استقرار الدولة لا يتحقق إلا عبر مراعاة رؤساء القبائل وتفهم طموحاتهم، فأعطاهم الأولوية في إدارة مؤسسات الدولة، مستندًا إلى قوله: "لا يصلح الناس إلا بأشرافهم." وفي المقابل، اشترط منهم الولاء السياسي له كشرط لتولي المناصب. وهكذا

---

[1] المصدر نفسه، ج5، ص159.

* أبو مريم الجهني: عمرو بن مرة، صاحب رسول الله (ﷺ) روى عنه، وكانت له بدمشق دار. ينتظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج46، ص337.

[2] ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص370.

[3] ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ص366.

[4] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار عز الدين للنشر والتوزيع، 1993، مج3، ج5، ص85.

[5] ابن كثير البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1966، ج1، ص136.

[6] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص30-31.

[7] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار فرانتس شتانير، 1979، ق 4، ج 1، ص26.

[8] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص15.

أصبحت معادلة المال والولايات مقابل الولاء أحد أهم أدواته في الحكم. فقد اعتبر المال "مال الله" [1]وليس مال المسلمين، ورأى أنه صاحب الحق في التصرف في بيت المال، مستغلًا إياه بمهارة لاستمالة الأشراف سواء من الموالين أو المعارضين، بل ذهب إلى القول إن المال يحل محل العدل[2] في إدارة الدولة وتحقيق الاستقرار السياسي.

- **السمات الشخصية والسياسية:**

شكّلت صفة الحلم إحدى أهم السمات التي ميّزت شخصية الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وقد وظّفها ببراعة كوسيلة سياسية في التعامل مع خصومه وامتصاص غضبهم ومعارضتهم لخلافته. كان يدرك أهمية التحمّل إزاء التصريحات المعادية له، فأفسح المجال لخصومه للتعبير عن آرائهم بحرية، ما دام ذلك لا يتحوّل إلى عمل سياسي أو عسكري يهدد سلطانه. وقد لخّص سياسته في قوله: "ولا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من السيف بدًّا ركبته" [3].

ارتبطت هذه السياسة بما عُرف لاحقًا بـ "شعرة معاوية"[4]، التي تؤكد أهمية الحلم في السياسة، حيث جعل القوة آخر وسائله، ما دام في مقدوره احتواء المعارضة بالحلم والصبر[5]. وقد سمح للناس أن يعبّروا عمّا يكره في حضرته، إدراكًا منه أن كبت الآراء قد يدفع إلى التآمر في الخفاء، فاتبَع منهجًا يقوم على "شدة في غير إفراط، ولين في غير امتهان"[6].

وإلى جانب الحلم، تميّز معاوية بصفتي الأناة والدهاء؛ إذ كان يمنح خصومه الوقت ويصبر عليهم، حتى لا يترك لهم مبررًا عند التخلص منهم. وتُعد قضية حُجر بن عديّ الكندي مثالًا بارزًا لهذه السياسة؛ فقد أوصى معاوية واليه على العراق زياد بن أبيه بالصبر على تصرفات حجر، والبحث عن حجة قوية ومقنعة لقتله، بما يضمن عدم تعريض أمن واستقرار الحكم الأموي في الكوفة والعراق للاضطراب أو الانهيار[7]. هكذا ظّف معاوية صفاته الشخصية (الحلم، الأناة، الدهاء) كأدوات سياسية لترسيخ سلطته.

- **قراءة في أساليب التعامل مع الخصوم السياسيين:**

يُعدّ الحجاز في العصر الأموي مركزًا دينيًا ومعنويًا للمسلمين، إذ بقي فيه عدد من الصحابة وأبنائهم، كما أنه مثّل بيئة سياسية حساسة نظرًا لوجود قبيلة قريش، التي شكّلت ركيزة أساسية في الشرعية السياسية منذ اجتماع السقيفة. وقد أدرك الخليفة معاوية بن أبي سفيان خصوصية هذا الإقليم، فاختط لنفسه سياسة مغايرة عمّا اتبعه في الأقاليم الأخرى كالعراق ومصر، حيث لم يلتزم بتعيين ولاته من أسرته الأموية، بينما حرص في الحجاز على أن يكون ولاته من قريش، وبالأخص من بني أمية لضمان السيطرة على مركز الشرعية الإسلامية[8]. هذا التمييز يعكس إدراكه أن الحجاز ليس مجرد إقليم إداري، بل هو قلب الشرعية الدينية والسياسية، حيث تُقارن سياساته مباشرة بنهج الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين.

1. طبيعة الخصوم السياسيين في الحجاز:

واجه معاوية في الحجاز خصومًا من قريش المهاجرين، أي الصحابة وأبناؤهم، الذين كانوا يُنظر إليهم باعتبارهم الأوفر حظًا لتولي الخلافة وفق مبادئ اجتماع السقيفة. كما واجه قريش الطلقاء من أبناء آل مناف عامة، وبني أمية خاصة، الذين استندوا

---

[1] المصدر نفسه، ج5، ص15.

[2] المصدر نفسه، ق4، ج1، ص85.

[3] المصدر نفسه، ج5، ص21.

[4] " ... أنه كان يقول: لو كان بيني وبين الناس خيط عنكبوت أو شعرة ما انقطعت، إذا جذبوا أرسلت وإذا أرسلوا جذبت!". ينظر: الطرطوشي، سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، 1872، ص87.

[5] البلاذري، أنساب الأشراف، ق4، ج1، ص20. قال معاوية: " إني لأرفع نفسي عن أن يكون ذنب أعظم من عفوي، وجهل أكبر من حلمي، وعورة لا أواريها بستري، وإساءة أكبر من إحساني". البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص25.

[6] الطرطوشي، سراج الملوك، ص57.

[7] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج3، ج5، ص130–131.

[8] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص66.

إلى المقولة الشهيرة لأبي بكر الصديق في السقيفة: "الأئمة من قريش" [1]. هذه التركيبة جعلت الحجاز ساحةً معقدة تتداخل فيها الشرعية الدينية مع المنافسة القبلية.

2. أساليب معاوية في ممارسة السلطة

اعتمد معاوية على جملة من الأساليب السياسية التي هدفت إلى تثبيت سلطته في الحجاز، أبرزها:

- ترسيخ مبدأ الطاعة للغالب: إذ سعى إلى إقناع خصومه بقبول سياسة الأمر الواقع، في مقابل فكرة الشرعية التي حصرت الخلافة في قريش المهاجرة" [2].
- الخطاب الواقعي: خاطب أهل المدينة قائلاً: "إني رمت سيرة أبي بكر وعمر فلم أطقها، فسلكت طريقةً لكم فيها حظ ونفع، على بعض الأثرة، فارضوا بما أتاكم مني وإن قل..." [3].. هذا الخطاب يعكس إدراكه لصعوبة مقارنته بسيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ومحاولته تبرير نهجه الجديد.
- إعادة تعريف القيم السياسية والاجتماعية: في قوله: "معروف زماننا منكر زمان قد مضى، ومنكره معروف زمان قد بقي" [4]. وهو تصريح يكشف عن وعيه بتحوّل المعايير بين زمن الراشدين وزمنه، وسعيه لإعادة صياغة مفهوم الشرعية بما يتناسب مع الواقع الجديد.

تكشف دراسة سياسة معاوية في الحجاز عن إدراكه العميق لخصوصية هذا الإقليم، وعن محاولته الموازنة بين الشرعية الدينية والواقع السياسي. فقد اعتمد على أسلوب الحوار والخطاب الواقعي، وأعاد صياغة مفاهيم الشرعية بما يضمن تثبيت سلطته، في وقت كان فيه الحجاز مركزًا للصحابة وأبناء المهاجرين الذين شكّلوا منافسين محتملين للخلافة.

أدرك الخليفة معاوية بن أبي سفيان أهمية الحفاظ على الانسجام مع أشراف قريش من "الطلقاء"، الذين مثّلوا خصومًا محتملين قادرين على إزعاجه في ملكه، لما لهم من مكانة اجتماعية وقبلية راسخة في الحجاز، فهم بقايا سادة مكة وأصحاب ثقل سياسي. لذلك حرص معاوية على استمالتهم وخطب ودّهم، وسعى إلى ترسيخ شرعيته داخل قريش عبر التذكير بفضل أسرته ومكانتها، ومحاولة تخفيف أي توتر معهم، متبعًا سياسة الأمر الواقع، ومقدّمًا نفسه باعتباره الخيار الأفضل لإدارة الدولة.

وتذكر المصادر أن معاوية واجه مواقف حادة مع بعض أشراف مكة، مثل أبي الجهم بن حذيفة من بني عدي، الذي غضب عليه يومًا وقال: "أراحنا الله منك يا معاوية". فرد معاوية بخطاب يعدد فيه مثالب بقية البطون القرشية، ويؤكد فضل بني أمية في العطاء والقيادة، قائلاً: "وإنا على ما فينا لنعطي السائل ونجود بالنائل، ولا تزال العرب غلب الرقاب ما رأوا أشياخنا على المنابر" [5]. هذا الرد يعكس إدراكه لضرورة الدفاع عن مكانة أسرته أمام منافسيه من قريش.

كان معاوية مستعدًا للصفح عن القرشيين ما لم ينازعوه الحكم، كما حدث مع الوليد بن عقبة حين ادعى حقه في الخلافة بصفته أخا عثمان، فأظهر له معاوية أنه لا يتسامح مع من ينازعه السلطة[6]. وفي المقابل، كافأ سعيد بن عثمان حين ذكّره بفضلهم في وصوله للحكم، فولّاه خراسان[7]. كما كان يترك المجال لرجاله، مثل عمرو بن العاص، ليخاطب أشراف قريش في مجالسه، فيذكرهم

---

[1] الواقدي، كتاب الردة، تحقيق: يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص41.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ج4، ص171.

[3] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص 49. وفي رواية أخرى: "خطب معاوية فقال: أيها الناس والله لنقل الجبال الراسيات أيسر من إتباع أبي بكر وعمر في سيرتهما، ولكني سالك بكم طريقاً تقصر عمن تقدمني ولا يدركني فيها في بعدي". المصدر نفسه، أنساب الأشراف، ج5، ص133.

[4] المصدر نفسه، ج5، ص31.

[5] وفي رواية أخرى لرواية أخرى تُظهر موقفًا نقديًا ساخرًا من الخلفاء الأمويين،" قال أبو الجهم: أمر لي معاوية بمائة ألف درهم فذممته وقلت: أراحنا الله منك، فلما ولي يزيد أعطاني خمسين ألف درهم، ثم أتيت ابن الزبير فأعطاني ألفاً فقلت: أبقاك الله فإنا لا نزال بخير ما بقيت، فقيل لي: أتدعو لا بن الزبير بالبقاء ولم تدع به لمعاوية ولا يزيد؟ فقلت: أخشى والله ألا يأتي بعده إلا خنزير". ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص21.

[6] " فقال معاوية: إني لا أقبل فيكم إلا ما أعرفكم به، وكل ذنب عنكم موضوع ما خلا القدح في هذا الملك". ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص91.

[7] المصدر نفسه، ج5، ص116.

بفضل معاوية وأهمية وجودها على رأس الدولة في محاولة لجسّ نبضهم ومعرفة نواياهم، خاصة وأن مكانة عمرو في دولة معاوية كانت مثار حساسية لدى في دولة معاوية وأستئره بولاية مصر [1].

سعى معاوية أيضًا إلى موازنة العلاقات بين كبار قريش، ففكّر في عزل مروان بن الحكم عن ولاية المدينة بسبب تفاخره بكثرة أولاده وتعاليه على آل سفيان[2]، وكان يغري بين سعيد بن العاص ومروان حتى لا يتفقا ضده، إذ كان يرى فيهما وفي أبنائهما خصومًا محتملين داخل البيت الأموي نفسه[3].

أما بنو هاشم، وخاصة أبناء علي بن أبي طالب، فكانوا الخصوم الحقيقيين لمعاوية. فرغم تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة مقابل إعادة الأمر إلى الشورى بعد وفاته، ظل معاوية متوجسًا من نفوذهم وأنصارهم في العراق الذين مثلوا تهديدًا دائمًا. وقد حاول معاوية مرارًا اختبار نواياهم عبر الحوار، ثم استرضائهم بالمال[4]. والمرة الوحيدة التي هدد فيها الحسين بن علي كانت عند معارضته مشروع توريث يزيد[5]، فكتب إليه يطالبه بالوفاء بالعهد، فردّ الحسين منتقدًا سياسة معاوية في إدارة الدولة، خاصة مسألة التوريث. أما عبد الله بن الزبير، فقد مثّل خصمًا من الدرجة الثانية بعد أبناء علي، إذ لم يكن يملك ثقلًا قبليًا أو أنصارًا كثر، لكنه كان قادرًا على إزعاج معاوية بمواقفه المعارضة وقدرته على تأليب الناس ضده لتحقيق مصالحه[6]. اتبع الخليفة معاوية بن أبي سفيان أسلوبًا سياسيًا متباينًا في التعامل مع خصومه؛ فقد كان نهجه مع قريش قائمًا على الحوار والإقناع، مقرونًا بإغداق الأموال والعطايا، وإظهار الحلم والمداراة.

أما مع الأنصار، فقد اتسم أسلوبه بالقسوة والتعنيف، مقرونًا بحرمانهم من العطايا، ولم يكن يفوّت مناسبة إلا ويذكّرهم بمواقفهم السابقة المعادية له ولبني أمية، منذ عهد النبي ﷺ، مرورًا بموقفهم من مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وانتهاءً بتأييدهم لعلي بن أبي طالب.

ويذكر البلاذري مشاهد عديدة تؤكد هذه النزعة العنيفة لدى معاوية تجاه الأنصار، رغم محاولاته أحيانًا استرضاءهم، ولا سيما في مواجهة صراحة سيدهم وقوة ردّه، قيس بن سعد بن عبادة خلف والده في زعامة الخزرج والأنصار وكان مع الخليفة علي بن أبي طالب وابنه الحسن ضد معاوية قال له يوما: " والله يا قيس لقد كنت أكره أن تنجلي هذه الغمة وتنكشف هذه الهبوة وأنت حي، فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن تنجلي وأنت أمير المؤمنين"[7]. وقد صرّح معاوية قائلًا: " صحبني أربعة من الأنصار: النعمان بن بشير فوليته حمص، ومسلمة بن مخلد فوليته مصر، وعمرو بن سعيد فوليته فلسطين، وفضالة بن عبيد فوليته القضاء، ولو زادوني لزدتهم، ولأنا خير لهم من أبي بكر وعمر" [8].

وتصوّر بعض المصادر الوضع المالي المتردي الذي عاناه الأنصار في خلافته؛ إذ تروي أن معاوية حج في إحدى السنوات، فلما اقترب من المدينة خرج الناس لاستقباله، وكان أكثر الأنصار مشاة. فسألهم عن سبب عدم استقبالهم له على ظهور الدواب كما فعل غيرهم، فأجابه سعيد بن سعد بن عبادة – الذي خلف أخاه قيس في زعامة قومه – بأنهم مُنعوا من ذلك بسبب قلة المال وضيق

---

[1] " فقال: احمدوا الله يا معشر قريش الذي جعل والي أمركم معاوية" ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص89.

[2] المصدر نفسه ج5، ص66.

[3] المصدر نفسه، ج5، ص33.

[4] المصدر نفسه، ج5، ص101. المصدر نفسه، ج5، ص95.

[5] المصدر نفسه، ج5، ص122.

[6] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص66. وتنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وهو والي للمدينة فمال معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: " يا معاوية إن لنا حقاً وحرمة وطاعة، ما أطعت الله نطعك، إنا يا معاوية لا ندع مروان يركبنا في جماهير قريش ... إذاً والله يا معاوية نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفاً من قريش...". المصدر نفسه، ج5، ص69.

[7] المصدر والصفحة نفسهما.

[8] المصدر نفسه، ج5، ص56، ص70.

الحال، وبسبب إيثار معاوية غيرهم بالعطايا. فردّ معاوية ساخرًا: «فأين أنتم عن نواضح المدينة؟»، فأجابوا: "أحرثناها يوم بدر، يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان». فأعرض معاوية عنهم متبسمًا وقال: "الحجة بالحجة، والبادئ أظلم" [1].

أما أساليب الخليفة معاوية بن أبي سفيان السلطوية في التعامل مع أشراف القبائل العربية، فقد كان أبرزها المدارة والمصانعة السياسية[2]، حيث أتقن استخدامها مع خصومه ومواليه على حد سواء، وخاصة في الشام. فقد أدرك معاوية قوة هؤلاء الأشراف وتأثيرهم في قبائلهم، وأهمية دورهم في استقرار ملكه. حتى إن زوجته فاختة بنت قرظة لامته على كثرة مصانعة الناس، وحثّته على تغيير سياسته، فاختبر ذلك في مجلسه مع الأشراف، فكان ردّهم شديدًا إذ هدّدوه باستخدام القوة إن غيّر أسلوبه معهم[3].

كما ابتدع معاوية نظام الوافدات أو السفارات الإجبارية، حيث ألزم أشراف القبائل العراقية – خصوصًا من أنصار الخليفة علي بن أبي طالب – بالحضور إلى الشام[4]. وكان يحاورهم ويستفزهم ليكشف نواياهم، ثم يبني على ذلك خطواته السياسية تجاه العراق. وقد طلب جارية بن قدامة منه أن يُبطل هذه العادة ويُقرّ الأشراف في ديارهم[5]. وكان معاوية يوجّههم أثناء تلك الزيارات إلى الاقتصار على ذكر حاجاتهم الخاصة دون شؤون الناس، ليضمن ارتباطهم بولائه عبر الأموال والعطايا[6].

وقد اشتكى الأحنف بن قيس، سيد تميم، من سوء حال قومه المالي، فطالبه معاوية أن يقتصر على حاجته الشخصية. كما شدّد على أهل العراق في العطاء، فجعل الحرمان من الأعطيات وسيلة لتطويع معارضيه، بينما أغدق على بعضهم بالهبات لاستمالتهم[7]. بل أنقص عطاء أهل العراق وزاد عطاء أهل الشام سنة (51هـ/671م). وعندما ولّى النعمان بن بشير على الكوفة سنة (53هـ/672م)، كتب إليه يأمره بزيادة عشرة دنانير لأهل الكوفة، فكان النعمان ينفّذ بعضها ويردّ بعضها قائلاً: "أنا قفل مفتاحه بالشام"[8]. لقد سار معاوية في الناس برأيه واجتهاده، وحوّل الخلافة إلى مُلك، إذ إن وصوله إلى الحكم كان بالسيف لا بإجماع الأمة ومشورتها[9].

كانت هذه لمحة عن مفهوم الخليفة معاوية بن أبي سفيان للسلطة وأساليبه في ممارستها. فهل اتخذ خلفه المرواني عبد الملك بن مروان مفهومًا مغايرًا للسلطة؟ وكيف تجلّت أساليبه في إدارتها؟

المبحث الثاني – مفهوم السلطة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان وأساليبها:

السمات الشخصية والسياسية:

يُعدّ عبد الملك بن مروان شخصية محورية في التاريخ الأموي (65–86هـ/685–705م)، إذ جمع بين التكوين الفقهي المبكر والخبرة الإدارية والعسكرية قبل توليه الخلافة. فقد نشأ في المدينة، مركز العلم والفقه، وجالس كبار الصحابة مثل عثمان بن عفان

---

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص41.

[2] قال العلماء: " المدارة سُنّة، والمداهنة معصية. قال ابن قيم الجوزية: والفرق بينهما أن المداري يتطلف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده إليه أو عن الباطل. والمداهن يتلطف به ليقره على الباطل ويتركه على هواه. قال فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق". ينظر: ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، ص17.

[3] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص107. المصدر نفسه، ج5، ص41.

[4] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5 ص117.

[5] ابن حجر، الإصابة، في تميز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1415هـ، ص566.

[6] الطرطوشي، سراج الملوك، ص29.

[7] وأن الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والجون بن قتادة العبشمي والحتات بن يزيد المجاشعي وفدوا على الخليفة معاوية، فوصلهم وفضل الأحنف وجارية، أعطاهما مائة ألف، وكان الأحنف بن قيس وجارية علويين وكان الحتات مع عائشة يوم الجمل: فقال: يا أمير المؤمنين فضلت من كان عليك على من كان لك، قال: إني اشتريت دينهم، قال: ومني فاشتر ديني، فألحقه بهما". المصدر السابق، ج5، ص93. ينظر: وفد إلى معاوية الأحنف وجارية بن قدامة والحتات بن يزيد المجاشعي فقال معاوية ... ويحك يا جارية ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية، فقال: أنت كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية، فقال معاوية: اسكت لا أم لك، قال: أم لم تلدني، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين لفي أيدينا، قال: إنك لتوعدني، قال: إنك لم تملكنا قسراً ولم تفتحنا عنوةً ولكنا أعطينا عهوداً ومواثيق، فإن وفيت لنا وفينا". المصدر نفسه، ج5، ص62.

[8] البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص14. قال معاوية ليزيد: يا بني اتخذ المعروف عند ذوي الأحساب لتستميل به مودتهم وتعظم به في أعينهم وتكف به عنك عاديتهم، وإياك والمنع فإنه مفسدة للمروة وإزراء بالشريف". المصدر نفسه، ج5، ص26.

[9] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1995، ج2، ص217.

وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وغيرهم من أصحاب رسول الله (ﷺ)[1]، حتى لُقِّب بـ حمامة المسجد لكثرة عبادته وتنسكه. وقد وصفه معاصروه بالفضل والصلاح والحلم وحسن الحديث[2]، مما يعكس صورة رجل متدين وهادئ قبل أن يدخل معترك السياسة.

على الرغم من التحول الذي طرأ على مفهوم السلطة لدى عبد الملك بن مروان بعد انتقاله إلى الشام وتوليه الحكم، إلا أن بعض سماته الأخلاقية ظلّت حاضرة في سلوكه السياسي والاجتماعي. فقد كان شديد الحرص على أن تكون مجالسه قائمة على الصراحة والصدق، بعيدًا عن مظاهر التملق أو الكذب أو الغيبة. ويظهر ذلك في قوله للهذيل بن زفر وحاتم بن النعمان الباهلي حين أراد مجالستهما: "إني أريد اختصاصكما ومجالستكما، فلا تمدحاني في وجهي، فإني أعلم بنفسي منكما، ولا تطريا عندي ظنينًا فأستغشكما، ولا تكذباني فليس لمكذوب رأي، ولا تغتابا عندي أحدًا، وقولا ما شئتما". هذا النص يعكس رؤية عبد الملك لمجلس الحاكم باعتباره فضاءً للحوار الصادق والنصيحة الأمينة، لا ساحة للتملق أو تصفية الحسابات. كما يُبرز إدراكه أن المدح المبالغ فيه يُفقد النصيحة قيمتها، وأن الكذب والغيبة يفسدان الرأي ويضعفان الثقة بين الحاكم ومستشاريه[3].

غير أن عبد الملك لم يقتصر على الجانب الفقهي، بل تولى مناصب إدارية وعسكرية في عهد معاوية بن أبي سفيان، منها إدارة ديوان المدينة كتولي ديوان المدينة بعد زيد بن ثابت الأنصاري، وبقي في منصبه حتى وفاة الخليفة يزيد بن معاوية[4]، وقيادة حملات عسكرية منها حملة في بأرض الروم سنة (42هـ/662م) وكان سن السادسة عشر[5]، وفي سنة (50هـ/670م) وأرسله الخليفة معاوية أيضا على رأس بعث المدينة في حملة معاوية بن حديج إلى إفريقية، وكان عبد الملك على خيل إلى جلولاء وكان في البعث أبناء الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وآخرون[6]، إضافة إلى ولايته فلسطين في خلافة أبيه مروان بن الحكم[7]. هذه الخبرات المبكرة شكّلت لديه رؤية عملية للسلطة تقوم على التنظيم والانضباط، بعيدًا عن النموذج الراشدي القائم على الشورى والزهد.

التحول في مفهوم السلطة:

رغم خلفيته الفقهية، فإن عبد الملك عند انتقاله إلى مركز الحكم في الشام تبنّى منهجًا سلطويًا خاصًا، اتسم بالصرامة والحزم. وقد أشار سعيد بن المسيب إلى هذا التحول بقوله: "ولكنه لما صار إلى الشام بدل" [8]. ويظهر هذا التحول في ممارساته السياسية؛ إذ رُوي أنه أمر بقتل أسرى دون مناظرة، وعندما عاتبه أحد معارفه من أهل المدينة على قسوة قلبه، أجاب: "إن الخلافة لم تقس قلبي، ولكنه أقساه احتمال الضغن بعد الضغن"[9]. هذه العبارة تكشف عن إدراكه أن السلطة ليست مجرد موقع ديني أو أخلاقي، بل هي مواجهة مستمرة للأحقاد والصراعات، مما يفرض على الحاكم أن يتبنى الحزم كوسيلة للبقاء وضبط الدولة.

شهدت في شخصية عبد الملك تحول من فقيه عابد إلى سياسي، وهو ما يعكس طبيعة السلطة في تحويل مسار الفرد. لم يرَ عبد الملك أن الخلافة أفسدت قلبه، بل اعتبرها امتحانًا يفرض مواجهة الضغائن، وهو ما يبرر انتقاله من اللين إلى الشدة. ابتعد عن

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، دمشق،1995، ج37، ص114. انتقد عبد الملك بن مروان منهج الخليفة عمر" أشرف على أصحابه وهم يذكرون سيرة عمر فغاظه ذلك فقال أيها عن ذكر عمر فإنه إزراء على الولاة مفسدة للرعية: المصدر نفسه، ج37، ص 151.

[2] البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996، ج7، ص 202-203.

[3] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص209.

[4] المصدر نفسه، ج7، ص194.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص114.

[6] المصدر نفسه، ج37، ص 124- 125.

[7] المصدر نفسه، ج7، ص209.

[8] المصدر نفسه، ج7، ص194.

[9] المصدر نفسه، ج7، ص220. وكان تأثير رجاء بن حيوة أحد فقهاء وأشراف الشام قوي على عبد الملك وأبنائه "فقد أتي عبد الملك بأسرى، فهم بقتلهم فقال له رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين أذكرك ألاء الله عندك بالعفو، فعفا عنهم، وأمر بتخليتهم. المصدر نفسه، ج7، ص222.

النموذج الراشدي، وأرسى دعائم سلطة مركزية قوية في الشام، تجلّت لاحقًا في إصلاحاته الكبرى مثل تعريب الدواوين وضرب العملة وتثبيت أركان الدولة الأموية.

إن مفهوم السلطة عند عبد الملك بن مروان يعكس انتقالًا من الشرعية الدينية–الفقهية إلى الشرعية السياسية–المؤسسية، حيث أصبحت السلطة أداة للحفاظ على وحدة الدولة واستقرارها، أكثر من كونها امتدادًا للزهد الراشدي. هذا التحول يفسر نجاحه في إعادة بناء الدولة الأموية بعد مرحلة الاضطراب، ويضعه في موقع المؤسس الحقيقي للسلطة الأموية المركزية.

أوضح الخليفة عبد الملك لرعيته أسلوبه في ممارسة السلطة في خطابه السياسي الأول في مرحلة مفصلية في تاريخ الدولة الأموية، حيث انتقلت الخلافة من صورة "القيادة الدينية–السياسية" التي سادت في عهد الخلفاء الراشدين، إلى صورة "الملك الجبري" القائم على القوة والهيبة. هذا التحول جاء نتيجة اضطرابات سياسية كبرى: الفتن الداخلية، ثورات المعارضة، وتحديات تثبيت الحكم الأموي بعد وفاة يزيد بن معاوية.

بدأ خطابه نقده لأسلافه في خطبه، ميّز عبد الملك نفسه عن خلفائه السابقين: عثمان بن عفان: وصفه بالمستضعف، أي أن سلطته لم تكن حازمة. معاوية بن أبي سفيان: وصفه بالمداهن، أي المساير والمهادن. يزيد بن معاوية: وصفه بالمأفون، أي سيئ السمعة. هذا النقد العلني يعكس رغبة عبد الملك في تقديم نفسه كحاكم قوي لا يقبل المساومة، ويؤسس لشرعية جديدة قائمة على الحزم والصرامة[1].

وكذلك القطيعة مع منهج الراشدين فقد عبد الملك رفض أن يُقارن حكمه بمنهج الخلفاء الراشدين، فقال: "فلا تُكلّفونا أعمال المهاجرين، ولستم تعملون أعمالهم". هذا التصريح يُظهر إدراكه أن المجتمع الإسلامي قد تغيّر، وأن النموذج المثالي الذي جسّده الرسول ﷺ وخلفاؤه لم يعد قابلًا للتطبيق في ظل الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة[2]. كما اعتبر سياسة عمر بن الخطاب في مراقبة الولاة "إزراءً على الولاة ومفسدة للرعية"[3]، وهو موقف يعكس انتقال السلطة من الرقابة الشعبية والدينية إلى مركزية الحكم المطلق.

وأعلن موقفه من النصيحة والفقهاء ورفضه لأي رقابة دينية أو اجتماعية على سلطته، مهددًا بالقتل كل من يأمره بتقوى الله أو ينهاه عن المنكر. بذلك، أسس عبد الملك لسلطة لا تُقيدها النصيحة ولا المحاسبة، بل تعتمد على القوة وحده[4]. أما حادثة الرجل اليمني عندما اعترض على ظلم محمد بن يوسف (أخ الحجاج والي اليمن)، كرر شكواه ثلاث مرات، فهدده عبد الملك بالقتل. فرد الرجل: "ذهبت النبوة والخلافة، وهذه الجبرية" [5]، يُعد شهادة تاريخية على إدراك الناس أن الحكم قد انتقل من خلافة رحمة إلى ملك جبري. هذه الحادثة تعكس الصراع بين السلطة المطلقة والرقابة الشعبية، وتُبرز بداية تبلور مفهوم "الملك العضوض" في الفكر السياسي الإسلامي.

مثّل عهد عبد الملك بن مروان نقطة تحول من الخلافة إلى الملك، حيث أصبحت السلطة أكثر مركزية وأقل خضوعًا للرقابة الدينية والاجتماعية. خطبه ومواقفه تُظهر بوضوح أن الحكم الأموي في عهده لم يعد يستند إلى المثال الراشدي، بل إلى منطق القوة والجبروت. هذا التحول كان له أثر بالغ على الفكر السياسي الإسلامي، إذ دفع الفقهاء لاحقًا إلى التنظير لمفهوم "الملك الجبري" والتمييز بينه وبين "الخلافة الراشدة".

المظاهر السلطوية:

لم يُعرف عن الخليفة عبد الملك بن مروان ميله إلى المظاهر الفخمة التي ارتبطت بالسلطة؛ إذ لم يُنشئ قصرًا جديدًا لنفسه، بل اكتفى بشراء قصر معاوية الخضراء[6]. على الرغم من ميله إلى الاقتصاد، لم يخلُ عهده من مظاهر الترف المرتبطة بالمشاتي

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص212.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص212.

[3] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص151.

[4] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص206.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص223.

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص160.

والمصايف؛ إذ كان يتنقل بين الصنبرة* في الأردن، الجابية**، دير مران بدمشق***، وبعلبك وفقًا لتغير الفصول[1]. هذه التنقلات تعكس جانبًا من الترف المرتبط بالراحة والرفاهية، لكنها بقيت في إطار شخصي أكثر من كونها مظهرًا سلطويًا. هذا السلوك يعكس نزعة واضحة نحو الاقتصاد والابتعاد عن الإسراف، وهو ما انسجم مع سمعته بالبخل حتى لُقّب بـ "رشح الحجر"[2].

وقد كان يرى أن العطاء للشعراء نوع من السرف، وإن كان يضطر أحيانًا إلى مكافأتهم اتقاءً لشر ألسنتهم وتأثيرهم في الرأي العام[3]. مدح الشاعر الأخطل الخليفة عبد الملك بن مروان بقصيدة بليغة، فأكرمه الخليفة إكراماً عظيماً؛ إذ قدّم له قصعة مملوءة بالدنانير والدراهم، وألقى عليه خلعة من ثيابه الخاصة، وهي رمز الشرف والرفعة. خرج الأخطل مزهواً بالعطاء، يرافقه مولى عبد الملك وهو يردد: "هذا شاعر أمير المؤمنين"، في إشارة واضحة إلى مكانة الأخطل المميزة في بلاط الخليفة.

هذا المشهد يبرز الدور البارز للشعراء في العصر الأموي، حيث كان الشعر وسيلةً للدعاية السياسية، ولساناً ينطق بمجد الخليفة وهيبته، كما كان مصدر فخر له أمام الناس. وهكذا أصبح الشعر أداةً تجمع بين الفن والسياسة، تمنح الشاعر المال والجاه، وتمنح الخليفة صورةً مشرقة تتردد في الأسماع.

المال كأداة للسلطة:

مع مرور الزمن، أدرك عبد الملك أن المال ليس مجرد مورد اقتصادي، بل هو أداة سياسية واجتماعية أساسية لضمان ولاء الرعية[4]. وقد عبّر عن ذلك بقوله: "إن من وثائق الحزم أن تحمل الناس بالمال فإنهم أتباعه"[5]. هذا التحول يعكس وعيه العميق بأهمية الموارد المالية في ترسيخ الحكم الأموي.

الفصل بين المال العام والخاص:

خلافًا لمعاوية بن أبي سفيان، حرص عبد الملك على الفصل بين ماله الخاص وبيت المال العام. فقد أنشأ بيت مال خاص لا يدخله إلا المال الحلال، وكان يستخدمه في الزواج وشراء الإماء، حرصًا على نقاء نسب أولاده[6]. هذا السلوك يعكس نزعة أخلاقية ودينية في إدارة شؤونه الشخصية، ويبرز تمايزه عن أسلافه.

إظهار الهيبة والسلطة:

أولى عبد الملك أهمية قصوى لإبراز هيبة السلطة أمام الرعية. فقد كان يجلس للفصل في المظالم وحوله رجال بالسيوف، في مشهد مقصود لإظهار القوة والرهبة[7]. هذا السلوك يعكس إدراكه أن الهيبة الظاهرة جزء لا يتجزأ من استقرار الحكم وضبط المجتمع.

---

* الصنبرة: " موضع بالأردنّ مقابل لعقبة أفيق، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، كان معاوية يشتو بها". ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995، ج3، ص425.

** الجابية: "هي قرية من أعمال دمشق". ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص91.

*** دير مران: "هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزّعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجصّ وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، والأشجار محيطة به". ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص533.

1 المصدر نفسه، ج7، ص227.

2 البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص206.

3 المصدر نفسه، ج7، ص237.

4 البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص249. ويذكر المدائني أنه قدم الحارث بن خالد المخزومي الشاعر على عبد الملك فلم يصله ويقال إنه أقام ببابه شهراً لا يأذن له فانصرف ... " ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص229.

5 ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص140.

6 المصدر السابق، ج7، ص224.

7 المصدر نفسه، ج37، ص140.

يمثل عبد الملك بن مروان نموذجًا مركبًا للحاكم الأموي؛ إذ جمع بين الصرامة المالية والترف المعتدل، وبين الحرص الأخلاقي في المال الخاص وإبراز الهيبة السلطوية في المجال العام. هذا التوازن ساعده على ترسيخ سلطته في مرحلة حساسة من تاريخ الدولة الأموية، وجعل منه أحد أبرز خلفائها في إدارة الحكم والسياسة.

قراءة في أساليب ممارسة السلطة مع خصومه السياسيين:

لم يتمتع الخليفة عبد الملك بن مروان بالمكانة والولاء اللذين حظي بهما معاوية بن أبي سفيان لدى أهل الشام؛ إذ كان عبد الملك مدنيّ المولد والنشأة، ولم يرتبط وجدانياً أو اجتماعياً بأهل الشام كما ارتبط بهم معاوية الذي أسس سلطته هناك. وقد جاء عبد الملك إلى الشام مع والده بعد أن طردهم عبد الله بن الزبير إثر وفاة يزيد بن معاوية، وهو ما أضعف موقعه الاجتماعي والسياسي في البيئة الشامية. وقد عبّر عبد الملك عن هذا الواقع بقوله: "أنصاري من أهل الشام عامتهم أعداء لي"[1]، وهو تصريح يكشف عن إدراكه العميق لافتقاره إلى قاعدة شعبية صلبة في الإقليم الذي مثّل الركيزة الأساسية للدولة الأموية.

الحزم مع الخصوم السياسيين:

تُظهر الخليفة عبد الملك بن مروان نموذجاً مغايراً في إدارة السلطة مقارنة بسلفه معاوية بن أبي سفيان؛ إذ لم يعتمد على سياسة الاسترضاء وكسب الولاءات بالمال والولايات، بل اتجه إلى ترسيخ هيبة الدولة عبر الحزم والردع المباشر. فقد تعامل مع خصومه السياسيين داخل البيت الأموي بصرامة بالغة، كما يتضح في حادثة قتله لابن خالته عمرو بن سعيد الأشدق، وتهديده لعبد الله بن عمرو بن عثمان بمصير مشابه، وهو ما يعكس إدراكه أن تثبيت الحكم يتطلب إظهار القوة حتى في مواجهة الأقربين[2].

في المقابل، اتسم موقفه من آل أبي طالب بالحذر السياسي؛ إذ تجنّب الدخول في مواجهة دموية معهم، مدركاً أن مقتل الحسين كان سبباً في فقدان بني حرب للملك، وهو ما يكشف عن وعيه بخطورة المساس بشرعية آل البيت في الوجدان الإسلامي. هذا التوازن بين البطش الداخلي وتجنّب الصدام مع القوى ذات الرمزية الدينية يعكس" الواقعية النفعية" عبد الملك في إدارة الحكم[3]. كما تكشف نصائحه لأخيه عبد العزيز بن مروان في إدارة مصر عن جانب آخر من شخصيته السياسية، حيث دعا إلى اللين والرفق، وحسن اختيار الحاجب، وإشاعة الألفة في المجالس، والاعتماد على المشاورة في القضايا المعقدة، والتريث في العقوبة. هذه التوجيهات تعكس إدراكه أن الحكم لا يقوم على القوة وحدها، بل يحتاج إلى أدوات إدارية وسياسية تضمن استقرار الدولة وتماسكها[4].

وعليه، يمكن القول إن عبد الملك بن مروان مارس السلطة وفق ثنائية متوازنة: القوة والردع في مواجهة التهديدات الداخلية، والحنكة " الواقعية النفعية" في إدارة شؤون الدولة، وهو ما ساعده على إعادة بناء الدولة الأموية بعد مرحلة اضطراب شديد.

موقف عبد الملك بن مروان من أشراف القبائل:

يُلاحظ أن الخليفة عبد الملك بن مروان لم يحرص على مصانعة أشراف القبائل العربية في الشام أو العراق أو غيرهما، بخلاف سلفه معاوية بن أبي سفيان الذي اعتمد طوال فترة حكمه على استمالتهم بالمال والولايات، وبالحلم والصفح عن تجاوزاتهم. هذا الاختلاف يعكس تحولاً في أسلوب الحكم الأموي من سياسة الاسترضاء إلى سياسة الهيبة والردع.

وقد برز هذا التوجه في موقفه من عبيد الله بن زياد بن ظبيان*، أحد أشراف قبيلة شيبان بالبصرة، الذي لعب دوراً بارزاً في القضاء على مصعب بن الزبير. فرغم قوة الكلمات التي وجهها لعبيد الله، استغرب ابنه الوليد من إبقاء أبيه عليه وعدم عزله أو معاقبته،

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج37، ص147.

[2] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص217.

[3] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص228.

[4] المصدر نفسه، ج7، ص211.

* عبيد الله بن زياد بن ظبيان: من أشراف شيبان بالبصرة، قدم الشام ودخل في طاعة عبد الملك بن مروان لأن مصعباً قتل أخاه النابىء بن زياد، وطلب منه عبد الملك أن يكون الذي يوجهه إلى العراق لمحاربته مصعب والمشاركة في القضاء عليه. المصدر نفسه، ج7، ص228.

قائلاً: «يا أمير المؤمنين، ولم تستبقي مثله، ولم ير لك هيبة الخلافة، وجلالة السلطان، وواجب الطاعة، وإن كان ذا غناء ودالة، ولم يوقرك توقير المسلمين إياك". فجاء رد عبد الملك معبّراً عن براغماتيته السياسية: "ما كل شيء تعلمه"[1].

هذا الرد يكشف عن وعي سياسي عميق لدى عبد الملك؛ فهو لم يكن يتعامل مع أشراف القبائل بمنطق الولاء الشخصي أو الهيبة الشكلية، بل بمنطق المصلحة السياسية المباشرة. فالإبقاء على عبيد الله رغم تجاوزاته يعكس إدراك عبد الملك لأهمية دوره في تثبيت الحكم الأموي في العراق، وهو ما يوضح أن سياسته لم تكن قائمة على المجاملة أو المصانعة، بل على الواقعية السياسية التي توازن بين الردع والاحتواء وفق مقتضيات المصلحة العليا للدولة.

اعتمد الخليفة عبد الملك بن مروان على سياسة مصادرة أملاك الخارجين على سلطانه كإحدى وسائل العقاب والردع، وهو ما مثّل تحولاً نوعياً في أدوات السلطة الأموية. فقد قام بمصادرة أملاك إبراهيم بن الأشتر من أراضٍ وأموال بلغت خمسة آلاف ألف درهم[2]، وتُعد هذه الواقعة أولى حالات المصادرة التي طالت أشراف الكوفة في العهد الأموي. ومن المهم الإشارة إلى أن هذه السياسة لم تكن مألوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان أو ابنه يزيد، إذ لم يُعرف عنهما مصادرة أملاك أحد من خصومهما السياسيين.

هذا التوجه يعكس إدراك عبد الملك أن المال والأرض يمثلان ركائز النفوذ الاجتماعي والسياسي في العراق، وأن ضرب هذه الركائز يضعف قدرة الخصوم على إعادة تنظيم صفوفهم أو تمويل حركاتهم المعارضة. ومن ثمّ، فإن المصادرة لم تكن مجرد عقوبة مالية، بل كانت أداة استراتيجية لإعادة تشكيل موازين القوى داخل المجتمع العراقي.

كما أن عبد الملك لم يُوفِ لأشراف العراق الذين انقلبوا على ابن الزبير، بخلاف معاوية الذي اعتمد سياسة الوفاء بالولايات والمال لكسب ولاء الأشراف بعد معركة صفين وعام الجماعة[3]. هذا الاختلاف يعكس تبايناً في أسلوب الحكم بين الرجلين: معاوية: اعتمد على الاسترضاء والمصانعة لكسب الولاءات القبلية. وعبد الملك: اعتمد على الردع والمصادرة لإضعاف الخصوم وتثبيت هيبة الدولة.

خلاصة القول: أن سياسة المصادرة عند عبد الملك بن مروان تمثل تحولاً من سياسة الاسترضاء إلى سياسة الردع الاقتصادي، كما ساهمت في إعادة تشكيل العلاقة بين الدولة والأشراف من علاقة شراكة إلى علاقة تبعية، ففي عهد معاوية، كانت العلاقة تقوم على المصانعة والمشاركة عبر منح الولايات والمال للأشراف مقابل الولاء. أما في عهد عبد الملك، فقد تحولت العلاقة إلى علاقة تبعية قائمة على الردع والهيبة، حيث فقد الأشراف استقلاليتهم الاقتصادية. فضلا عن ترسيخ سلطة الدولة المركزية وإضعاف البنى القبلية التقليدية، وأعادت تشكيل العلاقة بحيث أصبح الأشراف يعتمدون على الدولة لا العكس. وإعادة تعريف الشرعية لم تعد الشرعية السياسية قائمة على تحالفات قبلية كما في عهد معاوية، بل على قوة الدولة المركزية وقدرتها على ضبط الموارد والتحكم في موازين القوى.

كما تُعدّ المرحلة التي أعقبت مقتل مصعب بن الزبير وسيطرة عبد الملك بن مروان على العراق من أبرز المحطات في تاريخ الصراع السياسي في صدر الدولة الأموية. فقد واجه عبد الملك نخبة من أشراف العراق الذين كانوا حتى وقت قريب في صفوف خصمه عبد الله بن الزبير، الأمر الذي فرض عليه أن يتعامل معهم بحذر سياسي يجمع بين الحزم واللين. اتسم موقف عبد الملك بمحاولة إظهار الحلم والتسامح، إذ منح خصومه الجوائز وأبدى استعداداً لاحتوائهم. غير أنّ هذا التسامح كان مشروطاً، فقد طالبهم بالاعتذار عن مواقفهم السابقة والتعهد بالطاعة، وهو ما يعكس استراتيجية مزدوجة تقوم على الترغيب بالجوائز والترهيب بالشرط السياسي. جاء رد الأشراف رافضاً لفكرة الاعتذار أو التوسل، حيث أكدوا أنهم كانوا في صف ابن الزبير، وقاتلوا وكسبوا الأموال، وقتلوا الرجال. برّروا موقفهم بأن الانتقال من الضلال إلى الهدى خير من العكس، أي أنهم يرون في التحول إلى طاعة عبد الملك تصحيحاً سياسياً لا خضوعاً مذلاً [4]. هذا الرد يعكس كبرياء النخبة العراقية وحرصها على الحفاظ على مكانتها الاجتماعية والسياسية،

---

[1] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص228.

[2] ابن الزبير، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر، 1959، ص208.

[3] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج3، ج6، ص393-394.

[4] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص240.

حتى في لحظة الضعف العسكري. تكشف هذه المناظرة عن طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية الأموية وأهل العراق، وهي علاقة شد وجذب، حيث كان العراق مركزاً للمعارضة لكنه أيضاً منطقة استراتيجية لا يمكن الاستغناء عنها.

علاقة عبد الملك بن مروان بأهل المدينة:

ورث عبد الملك بن مروان عن سلفه معاوية بن أبي سفيان علاقة متوترة مع أهل المدينة، إذ ظلّت المدينة مركزاً للمعارضة السياسية والشرعية الدينية في مواجهة السلطة الأموية. وقد عبّر عبد الملك عن هذه القطيعة في خطبته الشهيرة حين قال: "إني لأعلم أني لا أحبكم ما ذكرت قتل عثمان، وأنكم لا تحبوني ما ذكرتم الحرة وحبيش بن دلجة"[1]، مشيراً بذلك إلى أحداث جسيمة تركت آثاراً عميقة في الذاكرة الجماعية لأهل المدينة. ففي وقعة الحرة (63هـ/683م)، التي شكّلت محطة دامية في تاريخ المدينة، حيث اتهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بأنهما أبلغا جيش يزيد بن معاوية عن موطن الضعف في خندق الأنصار، مما سهّل اقتحام المدينة. أما حبيش بن دلجة كان قائداً لجيش مروان بن الحكم في محاولته لاستعادة المدينة من سيطرة عبد الله بن الزبير، وهو رمز آخر للصدام بين السلطة الأموية وأهل المدينة.

تجلّى التوتر أيضاً في شكوى أبناء كبار الصحابة من قريش إلى عبد الملك بسبب سياسة الحجاج بن يوسف في الحجاز. ومن أبرز هؤلاء: ابن الحنفية، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وعيسى بن طلحة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص. وقد عبّر عيسى بن طلحة عن موقفهم قائلاً: "يا أمير المؤمنين سلطت علينا هذا الغلام من ثقيف، لا يعرف لقومك حقاً"[2]، وهو تصريح يكشف عن رفض النخبة القرشية لأسلوب الحجاج القائم على الشدة والقسوة.

واجه عبد الملك أزمة أخرى مع فقيه المدينة سعيد بن المسيب، الذي رفض مبايعة الوليد وسليمان في حياة أبيهما. وقد تعرض سعيد للتعذيب على يد هشام بن إسماعيل المخزومي، مما اضطر عبد الملك إلى الاعتذار له قائلاً: "يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به، وأفعل الشر فلا أسله"، فرد عليه سعيد: "الآن تكامل فيك موت القلب"[3]. هذا الحوار يعكس التوتر بين السلطة السياسية والسلطة الدينية في المدينة.

ندم عبد الملك في أواخر أيامه:

في أواخر حياته، أبدى عبد الملك ندمه على انشغاله بالسلطة وتركه العبادة، فقال: "وددت أني كنت أكتسب يوماً بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله". وقد علّق أبو حازم هو الإمام الزاهد والفقيه التابعي سلمة بن دينار، شيخ المدينة[4] بقوله: "الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه" [5].هذا الاعتراف يبرز البعد الأخلاقي والروحي في تجربة عبد الملك، ويعكس إدراكه المتأخر لثقل المسؤولية السياسية على حساب العبادة.

تكشف المرويات التاريخية عن طبيعة العلاقة المتوترة بين الخليفة عبد الملك بن مروان وأهل المدينة المنورة، وهي علاقة اتسمت بالندية والمواجهة المستمرة. فقد ظلّ أشراف قريش وأبناء الصحابة يطالبون بحقوقهم ويعارضون سياسات الولاة، بينما حاول عبد الملك أن يوازن بين الحزم السياسي واللين، وأن يقرّ بالخطأ في بعض المواقف حين اضطر إلى الاعتذار أو مراجعة قراراته.

وتبرز هذه العلاقة بوصفها نموذجًا للتحديات التي واجهتها السلطة الأموية في إدارة الحجاز، حيث تداخلت الشرعية الدينية مع الشرعية السياسية، وتجلّى الصراع بين مركز الحكم الأموي وبين النخبة القرشية ذات النفوذ الاجتماعي والديني. وفي النهاية، يظهر ندم عبد الملك على انشغاله بالسلطة وتركه العبادة كصورة إنسانية وسياسية معبّرة عن صراع السلطة والروح في التجربة الأموية، وهو ما يمنح هذه الحقبة بعدًا أخلاقيًا وفكريًا يتجاوز مجرد الأحداث السياسية.

---

[1] المصدر نفسه، ج7، ص205.

[2] البلاذري، أنساب الأشراف، ج7، ص240. وفد الحجاج بن يوسف على عبد الملك، فدخل عليه وعنده خالد بن يزيد بن معاوية فقال له خالد: إلى كم هذا البسط، إلى كم هذا القتل؟ فقال الحجاج: ما دام بالعراق رجل يزعم أن أباك كان يشرب الخمر، فأسكته". المصدر نفسه، ج 7، ص 216.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص264.

[4] الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، (د.م)، مؤسسة الرسالة، ج6، ص97.

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص157.

الخاتمة:

إن دراسة التحول في مفهوم السلطة بين معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان تكشف عن انتقال جوهري في بنية الحكم الإسلامي من نموذج الخلافة الراشدة القائم على الشرعية الدينية والشورى، إلى نموذج الملك الأموي الذي ارتكز على العصبية القبلية والمركزية السلطوية. فقد مثّل معاوية البداية لهذا التحول عبر المزج بين الخلافة والملك، معتمداً على المرونة السياسية والدهاء في إدارة الخصوم، بينما جاء عبد الملك ليعزز هذا المسار ويمنحه طابعاً أكثر صرامة من خلال إعادة مركزية السلطة وتكريسها في يد الخليفة، مستخدماً أدوات القسر لضبط المعارضة وتوحيد الدولة. وبذلك يمكن القول إن التجربة الأموية جسّدت مرحلة جديدة في التاريخ السياسي الإسلامي، حيث تداخلت العوامل القبلية والدينية والسياسية لتنتج نموذجاً سلطوياً مختلفاً، كان له أثر بالغ في تطور أنماط الحكم في العصور اللاحقة.

قائمة بالمصادر:

1. ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: على سلمي النشار، وزارة الإعلام، العراق، (د.ت).
2. ابن الزبير، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، دائرة المطبوعات والنشر، 1959.
3. ابن الزبير، كتاب الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت، دائرة المطبوعات، والنشر. 1959.
4. ابن حجر، الإصابة، في تميز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1415هـ.
5. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
6. ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ.
7. ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، دمشق، 1995.
8. ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، 1966.
9. الأصبهاني، محاضرات الأدباء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1960.
10. البخاري، كتاب الأيمان، د م، د ن، د ت، باب من ستبرأ ذمته، الحديث 50.
11. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، 1979، ج5، البلاذري، أنساب الأشراف الأشراف، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار فرانتس شتانير، 1979، القسم 4، ج 1،
12. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996، ج7،
13. التنوخي، لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1960.
14. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
15. الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، (د.م)، مؤسسة الرسالة، 1985.
16. الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم ماجد، القاهرة.
17. الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد- مجلس الوطني، الكويت، (د.ت).
18. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار عز الدين للنشر والتوزيع، 1993.
19. الطرطوشي، سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، 1872.
20. المسعودي، مروج الذهب، دار الأندلس، بيروت، 1996.
21. الواقدي، كتاب الردة، تحقيق: يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
22. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995.
23. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1995.